2-081216-0003-2


السفير
www.assafir.com ©2008 جريدة السفير
محلّيات
تاريخ العدد ٢٠٠٨/١٢/١٦ العدد ١١١٧٥

# المهمشون في الذكرى الستين »لحقوق الإنسان« يغنون كلمتهم... ويبكونها

**يوسف حاج علي**

عندما وقفت وداد حلواني، رئيسة لجنة أهالي المفقودين والمخطوفين، على المنبر بدأت الأمهات بالتسلل رويداً رويداً الى المسرح، بعدما قامت سوسن هرباوي، شقيقة المفقود أحمد، بتوزيع صور »الغائبين« عليهن، وعلى الأخوات والأباء الحاضرين. ومرة واحدة، رفعت أمهات اللجنة، وأمهات جمعية دعم المعتقلين والمنفيين اللبنانيين »سوليد« صور الأبناء والأخوة صارخات: »وينن؟« و»لازم نعرف« فباغتن المسؤولين الدوليين واللبنانيين، الذين كانوا يحيون أمس، الذكرى الستين لولادة الاعلان العالمي لحقوق الانسان، في قاعة عصام فارس، في الجامعة الأميركية في بيروت، بدعوة من الأمم المتحدة في لبنان.

باغتن الحاضرين، لا سيما الجالسين في الصف الأول، لكنهن سرعان ما لاقين تجاوباً عارماً من جمهور القاعة ترجمه تصفيقاً لم يتوقف، تأييداً للقضية المحقة وضعفاً لا يقاوم امام وجوه الأمهات. اقترب المرافقون الخاصون للرسميين ببزاتهم الأنيقة ووقفوا قرب رؤسائهم. لكن الأمهات لم يتخطين حدود اللياقة. اكتفين بكلمتهن الوحيدة: »وينن؟«. وفي خلفية المشهد كان صوت حلواني التي كانت تلقي كلمتها صارخة تملأ القاعة هيبة، وكان صوت ضربة يدها على خشب المنبر يحث الأمهات على المطالبة بحق معرفة مصير الأبناء، »ويجب أن نعرف، ومن المؤكد أننا سنعرف«. هذا ما قاله رئيس »سوليد« غازي عاد: »القضية لن تموت«.

السفيرة البريطانية فرنسيس غاي سعدت بـ»حركة« الأمهات فشرعت بتصويرهن بكاميرتها الشخصية، لكنها ما لبثت، من دون ارادة منها، أن تماهت مع المشهد. أسقطت الكاميرا من يدها وبدأت بمسح دمعات سقطت من عينيها. أما الأوروبيان اللذان أحاطا بها جلوساً فاكتفيا بالتركيز على آلتي الترجمة الموضوعتين في حضنيهما وتدوين الملاحظات.

أم محمد هرباوي مثلها كمثل باقي الأمهات، لم تسقط صورة ابنها من يدها. ظلت تصرخ مرة بعد مرة: »يا دولة ردي علينا«. والرسميون والعسكريون بنجومهم المكللة وضعوا ايديهم على خدودهم صامتين، متفرجين. وصرخات نسوة تصدح: »ارحمونا الله يرحمكم«، وأم محمد، السبعينية اللطيفة التي وعدت أنها لن تشتم المسؤولين حضرت مع ابنتها سوسن الثلاثينية وحفيدتها ايمان، ابنة الثالثة عشر. ثلاثة أجيال تبحث عن »الابن« و»الأخ« و»الخال« الذي فقد ذات يوم. تعرض صورة ابنها على ضابط قوى الأمن الجالس بسكون قبالتها فلا يملك أن يرد على أسئلتها يكتفي بالنظر اليها. الامر ليس في يده.

شقيق »ابن الدولة« الدركي المخطوف توفيق دقدوقي، أتى مشاركاً للمرة الاولى بعدما تسلم مهمة متابعة ملف شقيقه المفقود نيابة عن والدته التي توفيت قهراً عليه. صور سوداء وبيضاء رفعها الأهالي في وجه من يؤمنون بأنهم يملكون سلطة البحث والمطالبة. صور تنتظر أن تلوّن بمعرفة مصير أصحابها المفقودين. هذا على الاقل.

ومشهد الامهات الذي تفاعل معه الجمهور مطولاً كان ذروة يوم مشحون بالكثير من المشاعر. ذوو الحاجات الخاصة حضروا مع مطالبهم عبر جمعية »صوتنا«، التي تعمل مع الشبان من اجل المناصرة الذاتية. قرأوا المادة الأولى من الاعلان العالمي، بلغتهم الخاصة، وطالبوا بحقهم في التعليم، وفي المشاركة، وفي العائلة. وتحدث من بينهم منال فارس، وناصر بلوط، وحسين ماجد، وسالي ثريا.

أما ميا فرح التي لديها تثلث الصبغية ٢١ (داون سيندروم) فتحدثت بالانكليزية عن حق التعليم لذوي الحاجات الخاصة ودفعت بجرأتها وقوة شخصيتها معظم الجمهور الى التمايل معها، يمنة ويسرة، على وقع أغنية »follow ur dreams«، بعدما انتهت من عرض تجربتها الشخصية. وأطلقت وصيتها: » اذا كنت استطيع أن افعلها، فكثير من أصدقائي يستطيعون أيضاً«. نالت تصفيقا تستحقه، ووردة حمراء من احدى الطفلات المعجبات تلاقت بها. والوردة الحمراء الثانية نالتها اللاجئة العراقية زيزفون سلطاني، ابنة الخامسة عشرة، بعدما روت تجربتها في اللجوء والقت شعراً »في لبنان التي احتضنتني«.

جمهور الاحتفال لم تسعه القاعة الرئيسية. ومن لم يجد له مكاناً فيها وقف على الشرفة الزجاجية المخصصة للمترجمين. لبنانيون وفلسطينيون وعراقيون وسحنات أفريقية سمراء واخرى أوروبية شقراء. أطفال المدارس رفعوا شعاراتهم مطالبين بحقوق العيش الكريم، والصحة، والسعادة، واللعب. وأضاف عليها أطفال مدرسة الجليل التابعة للأنروا: »حق التملك«.

الأطفال الذين لم يهدأوا نشاطاً وتعليقاً ونكاتاً معظم الوقت انقلب حماسهم المفرط هدوءا عندما عرض فيلم »أطفال الشوارع« لتانيا الشويري، والذي يروي معاناة وشهادات أطفال من جيلهم، بعضهم يكاد يقتصر حلمه في الحياة على »بطاقة هوية«، أو عائلة محبة، أو والد لا يمتهن الضرب والسكر واغتصاب بناته، أو والدة تتذكر أبناءها بين الحين والآخر... على العكس من أمهات لمخطوفين ينتظرن.